

بيئات التربية الإسلامية

الدكتور حميد الله عبد القادر*

ومارسها معه ولا زالت الأسرة في المجتمعات المتخلفة هي مصادر التربية والمعرفة بالنسبة لأبنائها.

كانت الأسرة تقوم بواجب التربية من الناحية الصحية والجسمية، فيوفر الأبوان لطفلها الطعام والشراب والكساء والمأوى ثم تعليمه المهنة التي يعيش بها في المستقبل وغالبا ما تكون مهنة الوالد على حين تتعلم البنت أمور البيت وقد تساعد في أعمال الزراعة مع أمها، ولكن تطور الحياة جعل الأسرة تسعى إلى تعليم ابنائها وأصبحت المدرسة المؤسسة الثانية بعد الأسرة.

وأول الحاجات الضرورية التي يجب أن توفرها الأسرة هو حاجة الطفل إلى الحب

يقصد بالبيئات الأمكنة التي تتم فيها العملية التربوية لما لتلك البيئات من وظائف تربوية تقوم بها مع التركيز على الصفة التربوية لهذه البيئات وتشمل هذه البيئات الأسرة والمسجد والمدرسة والمجتمع

أولاً: الأسرة

تعتبر الأسرة المكونة من الأبوين أقدم مؤسسة إجتماعية للتربية عرفها الإنسان اذ أنها كانت ولا تزال المؤسسة الوحيدة التي تعلم وتهذب الطفل وتنقل إليه عن طريق الأب خبرات الحياة ومهارتها المحدودة ومعارفها البسيطة وكانت القبيلة هي التي تساعد الآباء في عملية التربية وكثيرا ما كان الابن وارثا لمهنة والده التي تعلمها

* استاذ ادارة العلوم الإسلامية

الله تعالى: ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة^(١)، لأن هذه المودة بين الوالدين تنتقل إلى الأولاد فتسود المحبة جو العائلة وقد أثبتت الدراسات النفسية أن الطفل إذا أحس بفقد العطف والحنان والرعاية ترجم ذلك في تصرفات يريد بها إثارة الانتباه واستدراار عطف والديه ثم تنعكس هذه الآثار في مستقبل الطفل فيصبح قاسيا في سلوكه ساعطا على المجتمع. ولذلك كان الرسول عليه الصلاة والسلام أرحم الناس بالأطفال وقد كان الرسول (ص) نموذجا لما يجب أن تكون العلاقة الأسرية بين الأبناء والآباء فقد كان يحنو على الحسن والحسين - رضي الله عنهما... - يمتطيان ظهره الشريف فيحبوا بهما ويخاطبهما وقد أطلال الرسول (ص) السجود مرة فسئل عن ذلك فقال: إن ابني ارتحلني فكرهت أن أعجل حتي يقضي حاجته^(٢) وقد حدث أنه كان يقبل الحسن وعنده أعرابي يتعجب من

ذلك ويقول للرسول صلى الله عليه وسلم إن لي عشرة أولاد ما قبلت أحدا منهم قط، فأجابه النبي صلى الله عليه وسلم من لا يرحم لا يرحم^(٣) " ليس منا من لم يرحم صغيرنا ويوقر كبيرنا ويأمر بالمعروف وينهى عن المنكر^(٤) " وكان صلى الله عنه عليه وسلم رحيما بالصبيان عامة يسلم عليه ان رآهم ويتسابق معهم ان رآهم يتسابقون ويلتقي بصبيان أسرته اذا عاد من سفر ويركب على ناقته من يلقاه منهم.

ان الإسلام عندما وضع على عاتق الأم أعظم مهام الحياة وهي التربية للأجيال وبناء الإنسان كان ذلك من معرفة الإسلام بأن التربية الصحيحة لا تتوفر إلا في الأسرة التي تستطيع المرأة فيها أن تعطي وقتها لبيتها وزوجها وأطفالها وان توفر لهم جميعا المأوي الدافئ والجو المليء بمعاني العطف والمودة والرحمة.

ان الاسرة التي تقوم بالواجبات التي سبق ذكرها والتي هي جماع لما يسمى الآن بالتربية الخلقية والجسمية والعقلية والاجتماعية - هي أسرة مثالية قادرة على تخريج رجال نافعين لأنفسهم ولأمتهم وقد بين الرسول صلى الله عليه وسلم واجبات الأسرة نحو أبنائها فيما ذكرنا من الرحمة والشفقة والعطف عليهم لأن تلك تعطي الأطفال الاطمئنان النفسي والثقة بالذات... والنشأة السوية الاهتمام بالواجب كما دعا الإسلام الي التعويد الي الصلوة باعتبارها عماد الدين.

وأهم واجبات التربية الأسرية أيضا التربية الإيمانية للطفل وذلك بتوجيه عواطف الطفل نحو حب الله وحب رسوله واخباره بأن الله يحب أيكون أحب إليه من أمه وأبيه ونفسه التي بين جنبيه والي جانب عاطفة الحب تكون عاطفة الخوف من الله لأن العاطفة الأولى تؤدي الي طاعة الله

ان واجب الأسرة في الإسلام توجيه الأطفال الي الصلاة وعبادة الله: وأمر اهلك بالصلاة واصطبر عليها^(٥) ومراقبة تنفيذ هذا الأمر وأخذهم بشدة في سن العاشرة والتفريق بينهم في المضاجع. واجب الأسرة الاهتمام في رياضة الأطفال يقول الغزالي: أعلم ان الطريق في رياضته الصبيان من اهم الأمور وأوكدها،..... ورياضته بأن يوديه ويهذهبه ويعلمه محاسن الأخلاق، ويحفظه من قرناء السوء^(٦)،

ويمنع أن يتبدى بالكلام، ويعود الا يتكلم الا جوابا وبقدر السؤال ويحسن الاستماع مهما تكلم غيره ممن هو أكبر منه سنا وان يقوم لمن فوقه، ويوسع له المكان، ويجلس بين يديه ويمنع من لغو الكلام وفحشه... وينبغي أن يعلم طاعة والديه ومعلمه ومؤدبه... والا يسامح في ترك الصلاة والطهارة، ويؤمر بالصوم في بعض أيام رمضان.

والعمل بما امرؤ الثانية تؤدي الى البعد عن المعاصي قولية وفعلية ظاهرة أو باطنة.

وعلى الآباء أشعار ابنائهم بأن حبهم لله ينشأ من حاجتهم الدائمة إليه هم وآباءهم لأن كل شيء بيد الله الأحياء والاماتة والشقاء والسعادة، والرزق والنعمة والهداية والضلال وهذه الحاجة هي التي تجعلنا نحبه اولاً ونقوم بواجب الشكر ثانياً من اتباع ما امر واجتناب لما نهى. وينبغي للوالدين توجيه الطفل الى بعض الأحاديث مثل الحديث القدسي: يا عبادي كلكم ضال الا من هديته فاستهدوني أهدكم يا عبادي كلكم جائع الا من أطعمته فاستطعموني أطعمكم، يا عبادي انكم تخطئون بالليل والنهار وأنا اغفر الذنوب جميعاً فاستغفروني اغفر لكم، يا عبادي انكم لن تبلغوا ضري فتضروني ولن تبلغوا نفعي فتنفعوني يا عبادي لو ان اولكم وآخركم وانسكم وجنكم كانوا على اتقي قلب رجل واحد منكم ما زاد ذلك في ملكي

شيئاً يا عبادي لو ان اولكم وآخركم وانسكم وجنكم كانوا على افجر قلب رجل واحد منكم ما نقص من ملكي شيئاً. يا عبادي انما هي أعمالكم أحصيتها لكم ثم أو فيكم إياها فمن وجد خيراً فليحمد الله ومن وجد غير ذلك فلا يلو من الا نفسه^(٧)،

ان غرس الإيمان الحقيقي في نفوس الناشئة والإيمان المطلق بالله بصفاته الثابتة له وحبه والخضوع له والخوف منه والا لتجاء إليه في كل أمر هو سر السعادة للأبناء والأسرة خاصة إذا أثبتت العقيدة بالطرق التربوية السليمة التي تقوم على العاطفة والعقل والعلم والحكمة حتى يكون الإيمان هو مصدر السلوك وموجه الإنسان في الحياة. فيبغي علينا أن نربي اولادنا بالتدريج من تلقين كلمة لا إله الا الله ثم أمرهم بالصلوة، والاهتمام بتلاوة القرآن الكريم وتعريف الأطفال بالحلل والحرام.

الزكاة يخافون يوما تتقلب فيه القلوب والأبصار،^(٨) ... وقد وردت لفظة مسجد بالمفرد والجمع ثمان وعشرين مرة في القرآن. ويمكننا ان نحدد مهام التربوي الوظيفية للمسجد من خلال القرآن والسنة فيما يلي:

(١) - المسجد مكان الصلوة والذكر

والعبادة والاعتكاف، وقد وردت الآيات في القرآن الكريم^(٩)

(٢) - المسجد مكان العلم والتعلم

وأول ذلك دراسة القرآن الكريم بقول الرسول عليه الصلوة والسلام: وما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم الا نزلت عليهم السكينة - وغشيتهم الرحمة وحفتهم الملائكة - وذكرهم الله فيمن عنده^(١٠)

المسجد مكان القضاء والحكمه

والشوري ومجمع للوزارات الإسلامية

ان الأسرة هي البيئة الأولى التي يتعلم فيها الطفل فإذا وجه الأبوين الصالحين للذين يرعيان ويوجهان ويحسنان التربية نشأ الأطفال نافعين لأنفسهم ولأمتهم ومطيعين لربهم منحين لأنفسهم وأهلهم من عقاب الله وسخطه.

ثانيا: المسجد:

اخذت الكلمة من أصلها الاشتقاقي وهو السجود لله سبحانه وتعالى فكان المكان الذي يخضع فيه الإنسان ويخضع لله هو المسجد، ومسجد قباء هو أول مسجد في الإسلام أسس على التقوي من أول يوم مما جعل المسجد على مرالعصور رمزا لحضارة الإسلام واماكن التربية والعبادة للمسلمين. وقد ذكر الله سبحانه وتعالى المهام التربوية التعبدية للمسجد فقال: في بيوت اذن الله ان ترفع ويذكر فيها اسمه يسبح له فيها بالغدو والأصال رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله واقام الصلوة وإيتاء

فقد كان لمسجد هـو مكان الحاكم
والمدرسة التي تربي فيها الرعيل الأول من
الصحابة إيماناً وروحياً وخلقياً واجتماعياً
وتفاعلت أرواحهم ونفوسهم بتعاليم
الرسول صلى الله عليه وسلم وعظائمه
وقدوته تعلموا فيه أمور الدين وعرفوا فيه
الحلال والحرام كما تعلموا فيه علوم القرآن
والسنة والشريعة واللغة وعلوم الحياة كلها
وتحققت فيه معاني الأخوة ممارسة واقعا
وتعاونوا على البر والتقوى واطمأنت فيه
قلوبهم بذكر الله. وكل خليفة يلقي بيان
سياسته وأسس حكمه فيه ابتداء بأبي بكر
الصديق وفيه تقاضي المتنازعون ففيه
اصدرت الأحكام بأقامه حدود الله وفيه
قاضي كعب بن مالك رجلا ديناً كان له
عليه في المسجد فارتفعت أصواتها فنادي
رسول الله صلى الله عليه وسلم قائلاً: يا
كعب ضع عن دينك هذا، فقال قد فعلت
يا رسول الله فقال قم: فاقضه^(١١). وكان
المسجد في عهد رسول الله صلى الله عليه

وسلم مكاناً لايواء الفقراء والغرباء الذين
عرفوا بأهل الصفة بالمكان الذي خصص
لهم وقد جلس بعض الأسرى وفيه كان
الجرحى يداؤون فقد روت عائشة فقالت،
أصيب سعد بن معاذ يوم الخندق في
الأكل فضرب رسول الله صلى الله عليه
وسلم خيمة في المسجد ليعود من
قريب^(١٢). وأن المسجد يمكن أن يؤدي
دوره الأول في حياة المسلمين وتربية
أبنائهم وتوجيههم في النواحي الروحية
والأخلاقية والاجتماعية حيث يتعلم فيها
ويستمع الى الموعظة النافعة ويخطط فيها
لرعاية الشباب وممارسة نشاطاته ويتعلم
فيها النواحي الدينية وما يتعلق بمناهج الحياة
وأمر التشريع أن المسجد يمكنه ممارسة
مهامه الأولى في التربية

ولا يمكن للناشئة أن يكونوا على صلة
بالمساجد ما لم يكن الأباء قدوة لهم في
ذلك... يشجعونهم يأخذونهم معهم
ويربطونهم بدروسه ونشاطاته المختلفة حتي

ينشأ الشباب في رحاب الله وفي بيت من بيوته.

ثالثاً: المدرسة:

إن المدرسة: إن المدرسة مؤسسة اجتماعية حديثة العهد في العالم فكما ذكرنا أهمية الأسرة والمسجد في تربية الأولاد وبتطور الحياة أصبحت الحاجة ماسة إلى اتخاذ مكان يتعلم فيه الصغار وإلى اشخاص ينوبون عن المجتمع في أداء هذه المهمة. ولم يعرف المسلمون المدرسة بالصورة التي نعرفها إلا في القرن الخامس الهجري نسبة إلى ارتباط التربية والتعليم في الإسلام بالمسجد وكان للمسجد دوره الذي ذكرناه في تحمل مسئولية نشر الثقافة الإسلامية والمعارف الإسلامية وكان كثير من العلماء يرون عدم تدريس الأولاد في المساجد لتزايد أعدادهم وما يحدثه وجودهم في المسجد من حركة وضجيج زيادة على كثرة المواد التي تدرس وما يترقب عليها من

نقاش وحوار وجدل ومناظرة مما جعلهم ينشئوا المدارس مرتبطة لا يواء الطلاب والمدرسين وما يتبع ذلك من مرافق كالمطبخ وحجرة الطعام وغيرها^(١٣) ومع ذلك ظل المسجد الجامع في حياة المسلمين منارة العلم واشعاع النور.

إن للمدرسة الإسلامية بعض الوظائف المهمة التي نذكرها:

١- اختيار النهج الدراسي الإسلامي:

اذ ان المناهج الدراسية لدى المسلمين كانت تراعي عدة أمور من أهمها مراعاة ميول أطفال ورغباتهم ومراعاة الفروق الفردية اذ ان الطفل يفهم ما بإمكانه أن يفهمه والاختلافات الفردية قد ترجع إلى طبيعة التربية أو البيئة أو السن أو مستوى الذكاء ولذلك طلب الرسول صلى الله عليه وسلم من سيدنا عبد الله بن عباس ان لا يحدث الناس بما لا تحتمله عقولهم والشرعية الإسلامية تراعي الاستعدادا

الشخصي في العبادات فالرسول صلى الله عليه وسلم يقول لأصحابه: ما نهيتكم عنه فاجتنبوه وما أمرتكم بأمر فاسفعلوا منه ما استطعتم^(١٤)

ويقول الغزالي في ذلك: وكما الطبيب لو عالج جميع المرضى بعلاج واحد قتل أكثرهم. كذلك المربي لو أشار على المريدين بنمط واحد من الرياضة أهلكتهم وأمات قلوبهم وإنما ينبغي أن ينظر في مرض المريض وفي حاله وسنه ومزاجه وما تحتمله نفسه من الرياضة ويبنى على ذلك رياضته^(١٥)

والقرآن الكريم يقول مبينا هذه الفوارق في الاستعدادات: لا يكلف الله نفسا إلا وسعها لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا ربنا ولا تحمل علينا إصرا كما حملته على الذين من قبلنا ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به^(١٦) ويقول الرسول عليه الصلاة والسلام: مثل ما بعثني الله من هدي والعلم كمثل الغيث الكثير أصاب

أرضا فكان منها نقيّة قبلت الماء فأبنت الكلا والعشب الكثير وكانت منها أمسكت الماء فنفع الله بها الناس فشربوا وسقوا وزرعوا. وأصاب طائفة أخرى إنما هي قيعان لا تمسك ماء ولا تنبت كالا فذلك مثل من فقه في دين الله ونفعه ما بعثني الله به فعلم وعلم ومثل من لم يرفع بذلك رأسا ولم يقبل هدي الله الذي أرسلت به^(١٧) وفي أحاديث كثيرة يطلب الرسول صلى الله عليه وسلم من المسلم ألا يذل نفسه بتعريضها لما لا تطيق من البلياء كما يطالب القصد في كل شيء.

٢- مراعاة الطبيعة النفسية للبشر:

وهذا يتطلب من المدرسة أن تكون بعيدة عن العنف والقسوة ومكانا للرحمة والرفق والتوجيه بالوسائل الحسنة فالرسول صلى الله عليه وسلم يقول لعائشة عليك بالرفق فإن الرفق لا يكون في شيء زانه ولا ينزع من شيء إلا شانه^(١٨) والإسلام يهدف إلى إيجاد المسلم اللطيف الرقيق

٤ - الحب للفضيلة والكراهية للرديلة

لذاتها:

ان التربية الإسلامية تهدف الى جعل الاخلاق عادة في سلوك الإنسان يقول الله تعالى: والذي صبروا ابتغاء وجه ربهم واقاموا الصلوة وأنفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية ويدرون بالحسنة السيئة اولئك لهم عقي الدار^(٢١) فمحك الفضيلة والكمال الخلقي ان يصدر العمل عن طبيعة ثابتة في حب الخير سرا وعلا ولذلك وسع الإسلام في دائرة الخير فجعل كل فعل خير صادر من المسلم نحو المسلم صدقة حتي الامساك عن الشر صدقة كما وصفهم الله تعالى: ولكن الله حبيب إليكم الإيمان وزينه في قلوبكم وكره إليكم الكفر والفسوق والعصيان^(٢٢) فالذي صبح نفسه على حب الفضيلة يكره بداهة الرديلة والرسول صلى الله عليه وسلم يقول (اعينوا أولادكم على البر)^(٢٣) العلم هو حجر الزاوية في العملية التربوية كما يقولون فالمدرسة تقوم بدورها

الرفيق الذي يكره العنف والقسوة القضاظة والغلظة ولذلك يقول الرسول صلى الله عليه وسلم: يسروا ولا تعسروا وبشروا ولا تنفروا^(٢٤)

٣ - الاستفادة من الخبرات الإنسانية:

من المهام الأساسية للمدرسة نقل خبرات الأجيال السابقة لما بعدها وهذه الخبرات تراث انساني يستفيد به المسلمون بالنافع منه والمتفق مع عقيدتهم ويتزكون ما لا تتفق معهم بعد التعرف على جوانب السوء فيه والإسلام دين متطور يدعو التحرر من ربة التقاليد والأفكار البالية لأن الحرص على المعتقدات الفاسدة بحجة المحافظة على التراث قد يقود إلى الضلال والكفر، وقالوا أجتنا لنعبد الله وحده ونذر ما كان يعبد آباءنا^(٢٥) فالحكمة صالة المؤمن أني وجدها فهو أحق بها.

فهو عبادة. ولذلك يقول الله تعالى وما
امروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين
حنفاء ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة وذلك
دين القيمة (٢٦) وقد أوصى هشام بن عبد
الملك معلم ابنه بقوله: ان ابني هذا هو جلدة
ما بين عيني وقد وليتك تأديبه فعليك بتقوي
الله. وأداء الأمانة وأول ما أوصيك به أن
تأخذه بكتاب الله الخ (٢٧)

ج - الالتزام بالإسلام والعمل له: ان
المسلم المعلم في حقيقة الأمر داعية الى الله
على بصيرة وادراك كما قال الله تعالى:
"قل هذه سبيلي ادعو الي الله على بصيرة
أنا ومن اتبعني" (٢٨) " فالربط بين الأقوال
والأعمال دليل على الالتزام الأخلاقي
بالإسلام ليس الالتزام الفكري فقط.

ان المدرسة تمثل نافذة الحياة بالنسبة
للأطفال يعيش فيها الطفل وقتا كبيرا من
يومه ليستزود بالمعارف والتعاليم والخبرات
التي تجعله قادرا على اقتحام الحياة والتكيف

بواسطة المعلم لذلك كان لا بد من اعداده
لمهمته واختياره من النخبة الطيبة. لذلك ذكر
علماء التربية قديما وحديثا عدداً من الصفات لا
بد أن تتوفر في المعلم وقد حصر القدماء
هذه الصفات في كلمات. فابن سينا يقول:
ينبغي أن يكون مؤدب الصبي عاقلاً ذا
دين، بصيراً برياضة الاخلاق، حاذقاً
بتخريج الصبيان، وقوراً رزينا، غير كزولاً
جامداً، حلواً لبيبا ذا مروءة ونظافة
ونزاهة (٢٩) ومن خلال تلك الأراء نستطيع
ان نحدد الصفات الواجب توفرها في المعلم
المسلم فيما يلي:

الف: الورع العدل يقول الرسول
صلى الله عليه وسلم واعدلوا بين
ابناءكم (٣٠) والمعلم أب لاولاده يوجههم الي
الخير.

ب - الاخلاص في العمل، لأن الله
تعالى لا يقبل من العمل الا ما كان خالصا
لوجهه وكل عمل يتبغي به المرء وجه الله

من سواهم .. فالمجتمع عامل تربوي فعال يحتاج إلى تضافر المؤسسات في تحقيقه لمسئوليته التربوية التي يمكن الإشارة إلى بعضها فيما يلي:

١- التعاون على البر والتقوي:

والله سبحانه وتعالى يقول: وتعاونوا على البر والتقوي ولا تعاونوا على الإثم والعدوان^(٣٠) لأن التعاون على البر والتقوي هما وسيلتا المجتمع لنشر الفضيلة والخير ومحاربة الرذيلة والشر فوسائل التربية الحديثة من صحافة وإذاعة وتلفزيون وغيرها من وسائل الإعلام كل منها معلم يملك أذواق البشر وأسماعهم وأبصارهم فإذا وجهت وجهتها الصحيحة كانت وسائل خير ورحمة وتعليم وتثقيف وإذا تركت على ما هي عليه من نشر السموم والأثماني المائعة والتمثيلات الهابطة والكذب الدائم والسخافات والأباطل كانت وسائل دمار وهدم لجهود مؤسسات التربية الأخرى كالبيت والمدرسة والمسجد. فواجب الدول

معها وأداء رسالته فيها وتحقيق سر وجوده في الأرض وهو معرفة الله وعبادته.

رابعاً: المجتمع:

يقول الله تعالى: والبد الطيب يخرج نباته بإذن ربه والذي خبث لا يخرج إلا نكدا^(٣١) وهذه الآية توضح لنا أن التربية لا تتم إلا في أطار اجتماعي وداخل مجتمع مسلم نظيف لأن الطفل لا يمكن تربيته بعيداً عن المؤسسات الاجتماعية مثل البيت والمسجد والمدرسة ووسائل الإعلام وغيرها لما لهذه المؤسسات من أثر تربوي فعال ولما للعادات والتقاليد والأخلاقيات الاجتماعية من تأثير على الطفل. وأن المجتمع المسلم قائم على نبذ العنصرية والوطنية والاقليمية وعلى الحرية المبنية على العبودية الكاملة لله وحده، كما أنه مجتمع الأخوة والمساوات والكفاية والعدل بين المسلمين الذين يتساوون في الواجبات والحقوق: المسلمون عدول يسعى بذمتهم أدانهم وهم يد على

أن تظهر مؤسساتها من كل ما يعوق تربية أجيالها على الحق والفضيلة والبر والتقوي وأن تحارب هذه الأجهزة وتجعلها تتكيف مع طبيعة المجتمع وعقائده ونظمه، ولا يتم التعاون على محاربة الإثم والعدوان إلا بإغلاق مظاهر الفساد الاجتماعي وتوجيه الثقافة التي يتأثر بها الأطفال والكبار إلى الثقافة التي يبني المجتمع عليها وحماية الشباب من المؤثرات الثقافية الدافعة للفساد، والإسلام يوجه توجيهات كثيرة في هذه الناحية فالله سبحانه يقول: قل إنما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن والإثم والبغي،^(٣١)

والله لا يحب الجهر بالسوء من القول أو الفعل فواجب المجتمع التعاون على إزالة الإثم والفواحش إلى درجة قتال المفسدين في الأرض وقتلهم: إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الأرض فساداً أن يقتلوا أو يصلبوا أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف أو ينفقوا من الأرض ذلك لهم جزاء في الدنيا ولهم في الآخرة عذاب عظيم^(٣٢) كما يحث الإسلام الفرد في النبذة عن المجتمع في القيام بواجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر: من رأى منكم منكراً فليغيره بيده فإن لم يستطع فليسانه فإن لم يستطع فليقلبه وذلك أضعف الإيمان.^(٣٣)

والرسول صلى الله عليه وسلم يحذر الرجل يرتكب عملاً بالليل وينشره بالنهار وقد ستره الله لأن عمل الشر اثم ونشره عن طريق اذاعته اثم آخر لا يفعل ذلك إلا المحسن الذي لا يستحي واذاعته الفاحشة مضر للمجتمع من الناحية التربوية فكيف به إذا تولته أجهزة في الدولة وبأموال المسلمين

والمجتمع المسلم هو الذي يقوم على التقوي ويطالب افراده بذلك والحض على التقوي كثير في القرآن باعتبار التقوي مضدراً لسلوك المسلم فرداً وجماعة فالمتقون هم الذين يؤمنون بالغيب ويقىمون الصلاة وينفقون مما رزقهم الله يؤمنون بالآخر وبالكتب المنزل والموفون بعهدتها إذا

فلا يسمح له الغش في الامتحان او يعطي ما لا يستحقه ارضاء للمدير أو جنسيته..

اننا لا نستطيع تربية أطفال صالحين في بيئة اجتماعية فاسدة كما لا تستطيع ان تزرع أرضاً دون تهينة هذه الأرض لان أدواء المجتمع كلها معدية تنتقل اليهم شأوا أم ابوا.

ان الدولة تستطيع توجيه الوسائل الاجتماعية كلها بدءاً بالأسرة والمدرسة وأجهزة الإعلام في خدمة التربية وقيد وجه الإسلام الي تكوين جماعة للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مزودة بالحسرات والأساليب التربوية الصحيحة توجه المجتمع من داخله وتراقب ما يجد من انحراف في السلوك للأفراد أو المؤسسات او الدولة نفسها ثم تعالج الامور بحكمة وموعظة حسنة متعاونين ما افراد المجتمع في ذلك: ولتكن منكم أمة يدعون الي الخير ويأمرون

عاهدوا والصابرون في البأساء والضراء وأنفقون فيهما والكاظمون الغيظ والعافون عن الناس المحسنون الذين يذكرون الله ليلاً وسحراً والمستغفرون، فالتقوي هي وصية الله الدائمة لكل أمة على لسان الأنبياء هي خير زاد للمسلم وخير لباس له والمثقفون هم أولياء الله وهم سبب سعادة المجتمع وأساس بنائه وسبب الرزق والانفصاح الاقتصادي وسبب النجاة من كل ضعف والوصول الي الجنة التي أعدت للمتقين.

والمجتمع المسلم هو الذي تتعمق فيه بالممارسة معاني الود والرحمة والإيثار والنضحية. ان المجتمع المسلم هو الذي يقوم بدوره في مساعدة الأباء على تربية ابنائهم على اخلاق الإسلام وتقاليدہ بحيث انهم ان خرجوا إليه وجدوا فيه ما تعلموه من الوالدين فلا يسمع كلمة نابية أو لفظاً جارحاً ولا يري مظهراً للغش أو الخداع وهو يتعاطى ويتعامل في الخارج ويجد مدرسته في حرص أبويه على مثل الإسلامية

بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم
المفلحون^(٣٤)

ان الدول تشرع كثيرا من القوانين
لحماية ما يسمى بالنظم الاشتراكية
والمكتسبات الثورية وما إلى ذلك فما الذي
يمنع المجتمع المسلم من سن القوانين والنظم
التي تكفل حماية المجتمع ونظمه وتقاليده
ويوقف مظاهر الفساد والاخلال ويحمي
النشء والأمة من كل ما يانس أخلاقها أو
ينحرف ويزيل هذا الصراع المستمر بين
التعاليم التربوية والاعراض الخارجية. ان
الإسلام يطالب الأسر بالتعاون فيما بينها
بتعليم الأسر المتعلمة للأخري حتي يتحقق
التعاون على البر في الواقع الحياة يقول
الرسول عليه الصلاة والسلام: فيما رواه
علقمة عن أبيه قال: خطب رسول الله
صلى الله عليه وسلم ذات يوم فأثني على
طوائف من المسلمين خيرا ثم قال: ما بال
أقوام لا يفقهون حيرانهم ولا يعلمونهم ولا
يأمرونهم ولا ينهونهم، وما بال أقوام لا

يتعلمون من حيرانهم ولا يفقهون ولا
يتعظون والله ليعلمن قوم حيرانهم
وفقهونهم ويعظونهم ويأمرونهم وينهونهم
وليتعلمن قوم من حيرانهم ويفقهون
ويتعظون أو لأعاجلنهم العقوبة^(٣٥)

فالرسول صلى الله عليه وسلم يبين لنا
ان المجتمع ان يتخذ سلطته عن طريق
القوانين التي تكفل سلامة المجتمع وتربيته
وتعليمه حتي تحقق الاهداف التربوية
للمجتمع المسلم.

خامسا: الوراثة والبيئة:

اثبت العلم حديثا ان الأطفال يرثون
الصفات الثابتة فيهم من أبويهم كما يرثون
الصفات الشكلية فيهم، وان الأطفال
يحملون خصائص أصولهم وإن بعدت
المسافة الزمنية بينهم وبين أصولهم.

فالبشرية كلها تشترك في الصفات التي
تميز الانسان عن غيره من المخلوقات

والبيئة تطلق على ما يحيط بالإنسان من أناس وبحار وبلاد وأرض وأجواء، وكما ان النبات لا يعيش وينمو ويثمر الا اذا وجد التربة الصالحة والماء والهواء والضوء فكذلك الانسان في جانبه المادي يتاثر بالناحية الجغرافية في البيئة من بحار وأنهار وأجواء وطبيعة وجبال وهضاب وغيره ذلك كما يتاثر بذلك في جانبه العقلي أما بيئة الإنسان الخاصة فهي المنزل والمسجد والمدرسة ودينه ومعتقداته ولغته وتراثه وما إلى ذلك.

وما أثر ذلك كله في التربية بعامة والتربية الإسلامية بخاصة ؟ ان الإنسان إذا نشأ في بيئة صالحة، وأسرة متدينة ومدرسة راقية ورفقة صالحة وأمة خيرة ونظام سياسي عادل وتربية ممتازة كان الشخص المثالي الذي تهدف التربية الى ايجاده اما اذا وجد في بيئة سيئة، أسرة منحلة ورفقة سيئة وأمة شريرة ونظام سياسي جائر وحاكم طاغ متجبر والأنظمة بشرية فاشلة وتربية لا

وتورث هذه الصفات جيلا بعد آخر ولكن هناك صفات خاصة إلى جانب الصفات العامة تتميز بها امة ما في مكان ما عن الأمم الأخرى وهي التي تميز بها الأفريقي عن الآسيوي والشرقي عن الغربي ثم يتدرج هذا التمايز في الصفات إلى مستوي الأبوين اللذين يورثان الوانهما وأشكالهما وطبائعهما لأبنائهما وتختلف نسبة الصفات الموروثة من الأب والأم والمقدار الذي يرثه من كل منهما، وقد لا يرث الأبناء صفات آبائهم الأقرباء ولكن تظهر هذه الصفات في الأجيال التالية ولذلك نجد الطب الحديث يبحث في الأمراض عما إذا كان المرض موجودا في العائلة أو قد وجد في جيل سابق كما أن العلم يقول أن الأبناء يرثون الاستعداد للشيء كالاستعداد للنبوغ أو الغباء أو الإصابة بأمراض معينة أو الاختراقات الخلقية وما إلى ذلك وهنا يظهر دور البيئة في نمو تلك الاستعدادات.

يقوم على أساس فإن النتائج أفراد فاشلون
وذلك مصداق لقول الله تعالى: والبلد
الطيب يخرج نباته بأذن ربه والذي خبث لا
يخرج الا نكدا^(٣٦)

وقد اثبت علماء الوراثة ان الصفات
الجسمية والخلقية والعقلية والغبية والنفسة
لدي الآباء تكون استعدادا لذي الأبناء بما
في آرائهم والقرآن الكريم يحدثنا ان ابناء
الزناة يحملون استعدادا وراثيا للزنا من
آبائهم ولذلك عبر عنه القرآن بقوله: ولا
تقربوا الزنا انه كان فاحشة وساء سبيلا^(٣٧)
كما ان الأمراض الناشئة من الزنا مثل
السيالان والزهري قد تنتقل كاستعدادات
وراثية لذي الأطفال، والرسول صلى الله
عليه وسلم يقوم محذرا المهاجرين من خمس
حصال ذكر منها: ولم تظهر الفاحشة في
قوم قط يعمل بها علانية الا فسادهم
الطاعون والأوجاع التي لم تكن في
سلافهم^(٣٨) وقد اثبتت الدراسات لحالات
المجرمين في جرائم مختلفة علاقة بين المجرم

ومن مارس في قرابته نفس الجريمة التي
ارتكها فلذلك يري بعض العلماء ان
الزواج بين ابناء السكيرين او المصابين
بالأمراس جريمة لان الأبناء يرثون
الاستعداد لذلك ولقد استنكر بنو اسرائيل
للسيدة مريم ذات السلالة الطاهرة التقية
كيف انجبت سيدنا عيسى من الزنا
بدعواهم: يا مريم لقد جننت شيئا فريا يا
اخت هارون ما كان ابوك امرا سوء وما
كانت امك بغيا^(٣٩). وبعض العلماء يري ان
الاجرام ليس وراثيا اما هو أثر من آثار البيئة
على الإنسان فإذا أخذ الأولاد من الآباء
السيئين ونشأوا في بيئة طيبة نشوا عكس
آباءهم. ان أهمية البيئة والوراثة كوسائل
تربوية ان دراستهما ومعرفة حدودهما
ومدى تأثيرهما في الإنسان يجعل التربية
مبنية على أسس علمية لاعتبار كل منهما
عاملا مكونا للعقل والجسم والخلق مع
الآخر بدرجة تجعل من الصعب اعطاء دور
كل منهما كما يفعل البعض نسبة معينة

ثابتة فإذا لم توجد البيئة الصالحة للعقري
فإن عقريته تموت وتندثر، كما أن البيئة
الراقية لا تلد العباقره والفلاسفة وإنما يوجد
العقري في البيئة الصالحة يكون انتفاع
الامة بأبنائها ولأبناء بإمكاناتهم ومواهبهم.

وصلى الله على النبي وآله وسلم

الهوامش

- [١] الروم ٢١ / ٣٠
- [٢] أحمد بن حنبل، المسند، ٩٤/٣
- [٣] البخاري، الجامع الصحيح "فتح الباري" ٤٢٦/ ١٠ (كتاب الأدب)
- [٤] الترمذي، السنن، ص ٢٨٥ (ابواب البر)
- [٥] طه ١٣٢/٢٠
- [٦] الفرائي، أحياء علوم الدين، ١٤٦٨/٨
- [٧] مسلم، الجامع الصحيح، ١٩٩٤/٤ - ١٩٩٥
- [٨] النور ٣٧/٢٤
- [٩] النور ٢٤ / ٢٨٧ ؛ التوبة ١٠٩٦
- [١٠] مسلم، الجامع الصحيح، ٢٠٧٤/٤ (كتاب الذكر)
- [١١] البخاري، الجامع الصحيح "فتح الباري" ٥٦١/١ (كتاب الصلاة)
- [١٢] البخاري، الجامع الصحيح "فتح الباري" ٥٥٦/١ (كتاب الصلاة)
- [١٣] راجع الشلبي، تاريخ التوبة الإسلامية ص ١١٤
- [١٤] مسلم، الجامع الصحيح، ١٨٣٠ / ٤ (كتاب الفضائل)
- [١٥] الفرائي، أحياء علوم الدين، ١٤٧٣/٩ - ١٤٨١
- [١٦] البقرة ٢ / ٢٨٦
- [١٧] البخاري، الجامع الصحيح، "فتح الباري" ١٧٥/١ (كتاب العلم)
- [١٨] مسلم، الجامع الصحيح، ٢٠٠٤ / ٤ (كتاب البر والصلة)
- [١٩] مسلم، الجامع الصحيح، ١٣٥٨/٣ (كتاب الجهاد)
- [٢٠] الأعراف ٧٠/٧
- [٢١] الرعد ٢٢/١٣
- [٢٢] المحررات ٧/٤٩
- [٢٣] الهيثمي، مجمع الزوائد ١٤٦ / ٨
- [٢٤] الأبراشي، التربية الإسلامية وفلاسفتها ص ٢٢٥
- [٢٥] أبو داود، السنن، ٥٠٠ / ٢ (كتاب البيوع)
- [٢٦] البينة ٩٨ / ٥

[٢٧] الأبراشي، التربية الإسلامية، ص ١٤٦

[٢٨] يوسف ١٢ / ١٠٨

[٢٩] الأعراف ٥٨/٧

[٣٠] المائدة ٢/٥

[٣١] الأنعام ١٥١/٦

[٣٢] المائدة ٣٣/٥

[٣٣] مسلم، الجامع الصحيح، ٦٩/١ (كتاب الإيمان)

[٣٤] آل عمران ٣ / ١٠٤

[٣٥] السيوطي، الدر المنثور، ٣٠١/٢

[٣٦] الأعراف ٥٨/٧

[٣٧] الأسراء ١٧ / ٣٢

[٣٨] ابن ماجه، السنن، ١٣٣٣/٢ (كتاب الفتن)

[٣٩] مريم ٢٨/١٩